

المسؤولية التربوية في الإسلام

فضيلة الدكتور

عبد القادر قسم السيد الدّابي

المسؤولية التربوية في الإسلام

د. عبد القادر قسم السيد الدّابي (H)

:M

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد الصادق الأمين **أما بعد**،،،،
فإنّ القرآن الكريم باعتباره منهج حياة تناول كل احتياجات الإنسان وغيره من الكائنات اعتماداً على قاعدة: **المَقْرَظُ نَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ عٍ.....** {⁽¹⁾؛ ولذلك بسط حقائق الأشياء بكل دقة وإيجاز فإذا تناول أيّ جانب من الجوانب، فإنّه يتكلّم عنه بدقّة وشمولاً وإحاطة وواقعية ومرونة، فإنّ تكلامه عن الكون بعبارة **كَبَّرَ كَ** بعجائبه وأسراره وسننه وقوانينه التي تحكم حركته وتبيّن علاقات عناصره وإذا تناول الإنسان، فصّل القول من كل النواحي، وإذا تكلم عن الحياة بيّن نظرته إليها بكل وضوح وبكل شفافية، وإذا تكلم عن التربية بسط القول فيها وأبان وبين حقيقتها والأطراف

(H) أستاذ مشارك بكلية التربية والدراسات الإنسانية . جامعة إفريقيا العالمية .

(الخرطوم . السودان).

(1) سورة الأنعام، الآية (38).

المسؤولة عنها ودور كل طرف في المسؤولية التربوية، حيث يقرر إنَّ التربية في الإسلام مسؤولية الجميع، مسؤولية كل من: الأسرة، والفرد، والمسجد، والمدرسة، والمجتمع، والمربي، كما أنها مسؤولية المتعلم وذلك على النحو التالي:

[أ] مسؤولية الأسرة :

إنَّ المولود يولد على الفطرة أو يأتي إلى الدنيا صحيفة بيضاء، فأبواه يهدهانه أو يضلونه أو يمجّسانه، والإسلام دين الفطرة والأسرة يمكنها تربية أبنائها وأطفالها مع التوجيه والإرشاد وتنمية الفطرة الصالحة حتى تضمن السير بهم على الطريق السوي، وربما تسلك بهم سبيل الضلال والفساد⁽¹⁾، قال اللهُ ﷻ: **أَمْ نَدُؤُا قَوْمًا لَدِينًا لَمْ تُلَدُوا عَلَيْهِمْ مَأْزُومًا سِوَىٰ مَا أَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَبَّأُوا صُلُوبَهُمْ غَاظِينَ** {2}، وقال تعالى: **مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ إِذْ حَضُرُوا لَهَا وَإِزْوَاجَكُمْ وَابْنَانَكُمْ كَمَا أَمَرْتُكُمْ** {3}.

وقال رسول الله ﷺ: **رُؤُوا لَكُمْ بِالصَّلَاةِ تَبْلُغُوا وَابْنَانَكُمْ كَمَا أَمَرْتُكُمْ** {4}.

(1) بشير حاج التوم: التربية والمجتمع، المركز العالمي للتعليم الإسلامي، مكة المكرمة، 1403 هـ . 1983 م، ص 2018.

(2) سورة التحريم، الآية (6).

(3) سورة طه، الآية (132).

(4) النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف: رياض الصالحين، دار الجيل، بيروت،

حديث رقم 299، ص 113.

إنّ هذه النصوص الكريمة تشير إلى مسؤولية الأسرة في تربية النشء، فهي الأساس للتربية الاجتماعية السليمة، ولذلك فإنّ الإسلام جعل الزواج سكناً ومودةً ورحمةً ليهيئ البيئة المستقرة المطمئنة التي تعين على التربية الصالحة⁽¹⁾، قال تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَالنُّورَ وَالْحَيَاةَ وَالْزِينَةَ وَالنَّكاحَ الْحَلَالَ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** {2}، وقال تعالى: **الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتًا طَيِّبَةً وَآجُلًا مُمْتِلًا لِيُنَافِقُوا رَبَّنَا** {3}.

فالإسلام يجعل حب الأبناء والعناية بتربيتهم تربيةً اجتماعيةً إسلاميةً سليمةً، عبادةً وواجباً اجتماعياً كبيراً.

والإسلام اهتم بالأُم وأُفرد لها مساحة كبيرة في تربية النشء غذائياً، واجتماعياً، وسلوكياً، وذلك لأنّ الطفل في السنوات الخمس الأولى من عمره يكون ملتصقاً بالأُم، فهي التي ترسم الخطوط الأساسية التي تُبنى عليها شخصية الطفل في مقبل أيامه هذا يعني أنّ الأُم عليها أن تقوم بدور الموجهة والمربية، الأمر الذي يتطلب منها أن تفكر دائماً في أحسن الطرق التي تُمكنها من تربية أطفالها حتى تُعدّهم للمشاركة في المجتمع

(1) النحلوي، عبد الرحمن: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، دار الفكر، دمشق، ط1، 1979م، ص 123.

(2) سورة الروم، الآية (21).

(3) سورة الفرقان، الآية (74).

بأخلاقهم وأعمالهم، وكمثال لتلك الأم يمكن أن نأخذ تلك المرأة الأعرابية المسلمة التي رأى أحد الناس ابنها فأعجب بمنظره فسألها عنه، فقالت: "إذا أتمّ خمس سنوات أسلمته إلى المؤدب، فحفظ القرآن فتلاه، فغطّاه الشعر فرواه، غبّ في مفاخرة قومهم، طلب مآثر آبائه وأجداده، فإذا بلغ الحلم حملته على أعناق خيل فتمرّس وتفرّس، ولبس السلاح، ومشى بين بيوت الحي وأصغى إلى صوت الصارخ"⁽¹⁾.

فهذه الإجابة تمثّل منهجاً كاملاً في التربية وذلك لما تضمنته من قيم اجتماعية إسلامية راقية في لغة سليمة عذبة جذابة، مما يلفت الأنظار إلى دور الأم المسلمة المتعلمة التي يمكنها أن تتخذ من اللغة وسيلة لتربية أطفالها فهي تعلم أنها إذا خاطبت أطفالها بلغة هادفة، مكّنها ذلك أن تغرس فيهم خُلقاً عظيماً فاللغة السليمة تعين على التفكير المنظم، والمنطق الواضح، والخيال الواسع، والذوق السليم، والنظام، وحسن معاملة الآخرين، وكلها صفات يحتاج إليها المجتمع، ومن ذلك ما نقلته إلينا وسائط التربية عن مدى فصاحة وبلاغة المرأة العربية في الماضي كمثال على الذوق الجميل، والأدب الرفيع، والحكمة البالغة، والرأي السديد، الذي كانت تتمتع به المرأة من قبل، والذي تحتاجه الأم في عصرنا هذا، وتسعى

(1) الأبراشي، محمد عطية: التربية الإسلامية وفلسفتها، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة.

من أجل أن تبلغ تلك المرتبة التي وصلت إليها المرأة العربية فيما مضى، فلنتناول وصية أسماء بنت خارجة لابنتها عند التزوج حيث قالت لها: "إنك خرجت من العش الذي فيه درجت⁽¹⁾، فصرت إلى فراش لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه فكوني له أرضاً يكن لك سماءً، وكوني له مهاداً يكن لك عماداً، وكوني له أمّةً يكن لك عبداً، لا تلحفي⁽²⁾ به فيقلاك⁽³⁾، ولا تباعدي عنه فينساك، إن دنا منك فأقربي منه واحفظي أنفه وسمعه وعينه، فلا يشدُّ مَنْ منك إلاّ طيباً، ولا يسمع إلاّ حسناً، ولا ينظر إلاّ إلى جميل"⁽⁴⁾.

فهذه الوصية تُرِينَا ذكاء الأم العربية، ونظرها الصائب، وحكمتها، وتجربتها الرائعة، ولغتها العذبة.

وإلى جانب ذكاء الأم العربية، هناك أيضاً إيمان المرأة المسلمة وقوة عقيدتها التي انعكست على تربية أبنائها، فلنتأمل نصيحة الخنساء لأبنائها الأربعة في الليلة التي وقعت فيها معركة القادسية حيث قالت يا بنيّ إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين، فاعلموا أنّ الدار الآخرة خيرٌ من الدار الفانية، اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون. فإذا رأيتم الحرب

(1) درجت: نشأت وتربيت.

(2) لا تلحفي: لا تلحي.

(3) فيقلاك: فيبغضك.

(4) الأبراشي، محمد عطية: مرجع سابق، ص 71.

قد شمّرت عن ساقها، فيمّوا وطيسها⁽¹⁾ تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة".

فلما أقبل الصباح أسرعوا إلى مراكزهم، وتقدّموا واحداً بعد آخر يذكرون وصية أمهم المؤمنة الصابرة المحتسبة، حتى استشهدوا جميعاً، فلما عرفت الخبر قالت: "الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر الرحمة"⁽²⁾.

فما أحوجنا اليوم إلى الأم المؤمنة التي تحذو حذو المرأة المسلمة في الصدر الأول من الإسلام، فتغرس في نفوس أبنائها روح الإيمان، ومعاني الجهاد والاستشهاد والتضحية، وإغاثة الملهوف كما تنمّي فيهم القدرة على استخدام اللّغة بشكل هادف وبصورة جميلة. فاللّغة العربية هي الوسيلة التي حمل الله بها . عن طريق الوحي الذي أنزل على رسول الله ع . إلينا خير كتاب عرفته البشرية وهو القرآن الكريم.
[ب] مسؤولية الفرد:

(1) وطيسها: موقع حرها واشتداد معاركها.

(2) الأبراشي، محمد عطية: المرجع السابق نفسه، ص 139.

إنَّ الفهم العام في نظام الإسلام أنَّ كلَّ إنسان يُجْزى بعمله إنَّ خيراً
فخيراً، وإنَّ شراً فشروراً يسأل عن خطيئة غيره ولا يُحاسب عليها⁽¹⁾ قال
تعالى: ﴿لَا تَكْسِبُ بِيَدِكَ الْإِثْمَ وَلَآ تَتْرَرُ وَأَزْرَعُ وَزُرَّ أُخْرَى﴾⁽²⁾،
مَوْقَالَ أَهْلِي فَلِئَمَّا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا
وَلَا تَتْرَرُ وَأَزْرَعُ وَزُرَّ أُخْرَى...﴾⁽³⁾، وقال تعالى: ﴿لَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ
الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا وَكُفْرُكُمْ أَتَتْهُمُ لِقَاءُ رَبِّهِمْ وَأَزْرَعُ وَزُرَّ أُخْرَى...﴾⁽⁴⁾، وقال
تعالى: ﴿لِمَ يُنْبَأُ بِمَا فِي صُحُفِهِمْ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى أَلَّا تَتْرَرُ
وَأَزْرَعُ وَزُرَّ أُخْرَى﴾⁽⁵⁾.

يتضح من خلال النصوص المذكورة آنفاً أنَّ الإنسان لا يُؤخذ بذنب
إنسان آخر مهما قرَّب منه أو بعد دَلِيل يُؤخذ بذنبه فقط ويعاقب على جرِّمه
فحسب، يعني هذا أنه مسؤول عن عمله، وهذا يدعوه إلى أن يُحاسب
نفسه قبل أن يحاسبه ويُعزِّره، يَزِن أعماله قبل أن تُوَزن عليه.

(1) النعمة، إبراهيم: فريديّة التبعة والجزاء في الفكر الإسلامي، مجلة التربية الإسلامية "تصدرها
جمعية التربية الإسلامية في العراق"، العدد الخامس، السنة الخامسة والعشرون،
جمادى الأولى 1404 هـ. شباط 1984م، ص 279-278.

(2) سورة الأنعام، الآية (164).

(3) سورة الإسراء، الآية (15).

(4) سورة الزمر، الآية (7).

(5) سورة النجم، الآيات (38-36).

ومن أجل تحقيق المسؤولية التربوية الفردية، أوجب الإسلام على كل فرد مسلم أن يطلب العلم، وهذا يعني أن المسلم في عملية تعليمية مستمرة مهما بلغ علمه أو سُدُّهُ، فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: (ما يزال العالم عالماً ما طلب العلم فإن ظن أنه علم فقد جهل)⁽¹⁾.

وقد ورد في بيان فضل العلم والعلماء ما يلي: **تَعَلُّوا الْعِلْمَ فَإِنَّ تَعَلُّمَهُ** لله خشية، وطلبه عباده، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعلُّمُه لمن لا يعلم صدقة، وينظُّ لأهله قُرْبَةً، لأئِمَّعالم الحلال والحرام ومنار سدُّ ل أهل الجنة، وهو الأنيس في الوحشة، الصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة، والصبر على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء، والزينة عند الأخلاء يرفع الله به أقواماً، فيجعلهم في الخير قادة تُقْتَفَى آثارهم، وتُتَدَى بفعالهم، ويُنْتَهَى إلى أمرهم، ترغب الملائكة في خلقتهم، وبأجنتها تمسحهم، ويستغفر لهم كل رطب ويابس، وحيثان البحر وهوامه، وسباع البر وأنعامه⁽²⁾. كيف لا والعلم حياة القلوب من الجهل، ومصابيح الأبصار من الظلم، يبلغ العبد به منازل الأخيار والدرجات العلا في الدنيا والآخرة، التفكير فيه يعدل الصيام، ومدارسته تعدل القيام، به توصل الأرحام، وبه

(1) ابن جماعة، بدر الدين: مسند الاجناد في آلات الجهاد، تحقيق أسامة النخشمدي، ص 28.

(2) ابن تيمية: الفتاوى، السعودية، الرياض، ط1، 1381هـ، ص 39-40.

يُعرف الحلال من الحرام وهو إمام العمل والعمل تابعاً لهم به السُّعداء
ويُحرم منه الأشقياء⁽¹⁾.

إذن فإنَّ طلب العلم في الإسلام لا يتوقف عند حد معين ولا بسن
محددة. والمراد هنا العلم بمعناه الواسع الذي يشمل أمر الدين والدُّنيا وهذا
يشير إلى أنَّ الإسلام أول نظام فرض إلزامية تعليم الصغار والكبار، وما
موقف الإسلام من أسرى بدر إلاَّ تجسيدا لموقف الإسلام من قضية التعليم
والتعلم، وكان المسجد أولى المؤسسات التربوية التي أنشأها الإسلام.
[ج] مسؤولية المسجد:

إنَّ المسجد في المجتمع الإسلامي له رسالة تربوية كبيرة، فقد كان في
عهد رسول الله ﷺ وصحابته الكرام رضوان الله عليهم أجمعين وما زال
مكاناً طاهراً، يُذكر فيه اسم الله، ويجتمع فيه المسلمون خمس مرات كل
يوم لأداء الصلاة، يلتقون فيه ليتعلموا أمور دينهم ويبحثوا فيه أمور
دنياهم⁽²⁾.

فكان المنطلق الرئيسي لنشاط المسلمين في كل جانب من جوانب
الحياة، السياسية، والعسكرية، والاقتصادية، والاجتماعية، والتربوية⁽³⁾.

(1) ابن جماعة، بدر الدين: المرجع السابق نفسه، ص 135 - 145.

(2) بشير حاج التوم: مرجع سابق، ص 20-22.

(3) النحلاوي، عبد الرحمن: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، مرجع سابق، ص 120.

فكما أنّ في الجهاد عزيمة صادقةً، تفانياً، وتضحيةً، وقوةً دافعةً تُدْثُ إصلاحاً في سبيل الله، فكذلك العلم الذي يتعلمه المسلمون في المسجد أو يُعلِّمونه، فإنَّه خيرٌ كثيراً وكثيراً وبركة، إذا أقدموا عليه صلح مجتمعهم واستقام، وللمساجد أسوة حسنة في المسجد النبوي الشريف.

لكن المسجد في مجتمعنا المعاصر قد قدّ رسالته التي كان عليها في المجتمع الإسلامي الأول، وذلك لأنّ كثيراً من القائمين عليه أو المسؤولين عن إدارته، لا يُدركون معنى التوحيد في الحياة، فقد أصبح المسجد مكاناً يُؤدّي فيه المسلمون الصلاة ثم ينصرفون، يدخل المصلون في صمت ويخرجون في صمت، لا يتعارفون، ولا يتناصحون، ولا يثيرهم ما يحيط بهم من نقص في الأخلاق والنظام والمثابرة وحب العمل، وحتى خطبة الجمعة التي ينبغي أن تُتهدف إلى شحذ هم المسلمين، ولفت أنظارهم للعمل الصالح في حياتهم أصبحت تكراراً لكلام معروف، أداءً للواجب المحدد، لا تحل مشكلةً ولا تنير اهتماماً.

وإذا قارننا ما يحدث في مساجدنا اليوم بما كان يحدث في مساجدنا بالأمس لوجدنا فارقاً كبيراً، فقد كان المسجد مؤسسةً تعليميةً، علاوةً على كونه مكاناً لأداء الصلوات، فالدراسة في الجامع الأزهر، مثلاً، لم تكن تقتصر في عصور نشأته الأولى على الفقه وعلوم الدين بل درّس فيه الطب، والمنطق، والرياضيات.

فكان ابن الهيثم يشتغل بالتصنيف والنسخ والإفادة في الجامع الأزهر، وكذلك كان الحال في المساجد الأخرى كجامع عمرو بن العاص، وجامع ابن طولون، وجامع المنصور ببغداد، والمسجد الأموي بدمشق، والمسجد الجامع بقرطبة، والجامع الكبير بصنعاء، وذلك بالإضافة إلى المسجد الحرام بمكة، والمسجد النبوي الشريف بالمدينة⁽¹⁾.

وكان تلقي العلم بالمساجد كالدخول إليها لأداء الصلاة غير مقيّد بقيود، ولكل إنسان الحق في الاستماع إلى أيّ درس يلقى فيها، ما دامت لديه الرغبة في العلم والقدرة على الفهم، كما كان تلقي العلم في تلك المساجد يتم على هيئة حلقات تعليمية، وقد وضع أسس تلك الحلقات علماء الصحابة الذين استقروا في حواضر البلاد الإسلامية، من أمثال أبي الدرداء، وأبي ذر الغفاري، وأبي موسى الأشعري، وأبي بن كعب. فكان أبو الدرداء مثلاً، يجلس في جامع دمشق بعد صلاة الظهر حيث يجتمع الناس للقراءة عليه وكان ينظّمهم عشرة عشرة، ويجعل على كل عشرة عريفاً، ثم يقف في المهلب يراقبهم بحيث إذا أخطأ أحدهم رجع إلى العريف، وإذا

(1) حسن عبد العال: التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري، دار الفكر العربي،

أشكل على العريف شيء رجع إلى أبي الدرداء، وبلغ عدد الطلبة في حلقة أبي الدرداء ألفاً وستمئة ونيفاً، لكل عشرة منهم مقرئ⁽¹⁾.
فما أحوجنا اليوم إلى أن تُعاد مساجدنا إلى ما كانت عليه مراكز إشعاع حضاري، يتلقّى فيها المسلم علوم الدّين والنّبيا، لا يشعر أن أحدهما منفصل عن الآخر، ويدُرّبي فيها على أخلاقيات الإسلام ومبادئه وتعاليمه.

[د] مسؤولية المدرسة :

المدرسة هي تلك المؤسسة التربوية التي يقوم المجتمع بإنشائها لتربية أبنائه وتنشئتهم وفقاً لقيم المجتمع وتقاليد وعاداته، وعلى ذلك فالمدرسة مسؤولة عن تزويد المجتمع بصورة مستمرة بأفراد متمسكين بالمبادئ الإسلامية ولديهم القدرة على توجيه المجتمع في الاتجاه السليم وتصحيح الجوانب السلبية في ذلك المجتمع⁽²⁾.
ولتحقيق ذلك فإنّ المدرسة يجب أن تكون صورة مصعّرة لمليجب أن يكون عليه المجتمع المسلم فمدير المدرسة ووكليها ومدرّسوها يجب أن يكونوا بمنابة القدوة الحسنة التي يفندي بها الطلاب في سلوكياتهم، ومناهج

(1) العدوي، إبراهيم أحمد: التعليم الإسلامي في الماضي وميراثه الحاضر، المركز العالمي للتعليم

الإسلامي، مكة المكرمة، 1403هـ - 1983م، ص 14 - 15.

(2) النحلاوي، عبد الرحمن: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، مرجع سابق، ص 134.

المدرسة يجب ألاّ تتضمن إلاّ ما من شأنه تكوين الفرد المسلم وإعداد الإنسان الصالح والأنشطة المدرسية يجب أن يكون لها أهداف محددة ومرغوبة من الناحية الإسلامية، وهكذا فإنّ المدرسة تتحول كلها إلى خلية تسعى نحو تكوين تلك الشخصية المسلمة التي يتمثل فيها الإسلام قولاً وعملاً.

فالمدرسة . إذن . هي تلك البيئة التي ائتمنها المجتمع على أبنائه، وأودعها إياهم لتنشأهم على تلك المبادئ التي اعتنقها ذلك المجتمع وارتضاها لنفسه ومن هنا يجب أن ينظر كل مسؤول في المدرسة إلى نفسه على أنه راعٍ وأنه مسؤول عن رعيته، فهؤلاء الأطفال الذين بين أيديهم هم لبنات ذلك المجتمع، وهم النبات الذي يجب أن تتولاه المدرسة بال العناية والرعاية، وهم قبل ذلك عجينة يمكن تشكيلها وصبغها بالصبغة التي تريدها المدرسون ثمّ فإنّ مسؤولية المدرسة أن ترعى الله في هؤلاء الناشئين وفي المجتمع الذي أودعهم في تلك المدرسة لتنشئتهم على مبادئ الإسلام وتعاليمه⁽¹⁾.

[هـ] مسؤولية المربي (المعلم) :

للمعلم في الإسلام منزلة كبيرة تقترب من منزلة الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه، فهو بمثابة الأب الروحي للمتعلم، فهو الذي يقوم بتغذية الروح

(1) المرجع السابق نفسه، ص 137.

بالعلم، وتهذيب النفوس بالأخلاق، وتقويمها. ولذا فإنّ رسول الله ع يخبرنا بأنّ مدّاد العلماء يساوي دماء الشهداء، فالعالم العامل خير من المتعبّد الجاهل الذي يصوم النهار ويقوم الليل، وقد وصف الغزالي منزلة العلم والعلماء في قوله: "وعمل بما علم فهو الذي يدعي عظيماً في ملكوت السماء، فكأنه كالشمس تضيئ لغيرها وهي مضيئة في نفسها، وكالمسك الذي يطيب عبيره وهو طيب، ومن اشتغل بالتعليم فقد تقلّ أمراً عظيماً وخطراً جسيماً، فليحفظ آدابه ووظائفه⁽¹⁾.

وقد وصف أبو الدرداء المعلم والمتعلّم بأنهما شريكان في الخير، ولا خير فيما عداهما⁽²⁾.

ولكن يقابل تلك المنزلة الكبيرة التي يحظى بها المعلم في المجتمع الإسلامي مسؤوليات يفرضها عليه المجتمع وقد حدّد الإمام الغزالي عدداً منها نجمله فيما يلي:

أولاً أنّ يشفق على المتعلمين ويجريهم مجرى أبنائه، ولا يدّخر وسعاً في نصّحهم وإرشادهم، وأنّ يزرّجهم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ذلك لا بطريق التصريح، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ.

(1) الغزالي، محمد بن محمد: إحياء علوم الدين، 52/1.

(2) الأبراشي، محمد عطية، مرجع سابق، ص 139.

ثانياً أن يُراعي مستوى الأطفال من الناحية العقلية، ويخاطبهم على قدر عقولهم، ولا يلقي إليهم أشياء فوق مستوى إدراكهم، حتى لا ينفروا من التعليم ويتخبطوا فيما يفهمونه، وهذا خير مبدأ في التربية الحديثة. لَأَيُّ قَبْحٍ فِي نَفُوسِ الْمُتَعَلِّمِينَ عِلْمٍ غَيْرِهِ، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ الْمُعَلِّمَ عَلَيْهِ أَلَّا يَتَعَصَّبَ لِمَادَّتِهِ.

ثالثاً ينبغي أن يُراعي مستوى الضعفاء من المتعلمين واختيار المادة السهلة الواضحة التي تناسبهم، ويجب ألا يُشعرهم بأنهم ضعفاء أو أغبياء حتى لا يؤثر في نفوسهم تأثيراً سيئاً.

رابعاً أن يعمل المعلم بعلمه فلا يكذب قوله فعله⁽¹⁾، قال تعالى:

بُرِّمَقْتًا عَلَيَّ اللَّهُ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ⁽²⁾.

[و] مسؤولية المتعلم:

لطالب العلم منزلة كبيرة في العملية التعليمية بشكل عام وفي التربية الإسلامية بصفة خاصة، فالتربية تتوجه لإعداده إعداداً كاملاً شاملاً ليكون مؤهلاً لحمل الأمانة. وهي خلافة الله في الأرض عمارة وعبادة. وهو يتسلمها من الجيل السابق ليقوم بتسليمها إلى الجيل اللاحق، وتأهيله يقتضي العناية به ورعايته حتى يكون سليم الإعداد حسن البناء وطالب العلم أو المتعلم في التربية الإسلامية ينبغي أن يتحلى

(1) النحلوي، عبد الرحمن: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، مرجع سابق، 154.

(2) سورة الصف، الآية (3).

بصفات معينة جمعها الله عز وجل في قوله تعالى: {وَأَتَّقُوا اللَّهَ} وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ⁽¹⁾.

فالله سبحانه وتعالى يأمر بالتقوى، وهي التحلي بكل فضيلة، واجتناب كل رذيلة، والخوف من الله في السر والعلانية، وسلامة الروح والجسد، والبعد عن الشهوات والمفاسد، حتى يُعلّمه الله ويمنحه نوراً ربانياً يمشي به بين الناس ويلهمه العلم والمعرفة ونور البصيرة⁽²⁾.
وقد حدّد الإمام الغزالي الصفات التي ينبغي أن يتحلّى بها طالب العلم أو المتعلم وفيما يلي إيجاز لتلك الصفات⁽³⁾:

[1] ينبغي لطالب العلم أو المتعلم التحلي بمكارم الأخلاق، كما عليه الابتعاد عن سيئ الأخلاق مثل: الغضب، والشهوة، والحقد، والحسد، والكبر، والعجب. كل هذه ظلمات تحجب نور العلم، وليس العلم كثرة الرواية وما تعيه الحافظة، وإنما هو نور البصيرة، بما تميّز به بين الحق والباطل، والضار والنافع، والخير والشر، والهدى والضلال⁽⁴⁾.

(1) سورة البقرة، الآية (282).

(2) الأبراشي، محمد عطية: مرجع سابق، ص 151.

(3) العموشي، أحمد سمير المحمد، "رسالة دكتوراه في التربية غير منشورة تخصص

أصول التربية"، جامعة إفريقيا العالمية، كلية التربية، عام 2002-2003م، ص 164.

(4) الكيلاني، ماجد عرسان: تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، مكتبة دار التراث، المدينة

المنورة، ط/2، 1405هـ. 1985م، ص 198.

[2] يجب أن يُقلّ طالب العلم من شواغله وما يصرفه عن التحصيل، وأن يُكرّس الوقت للعلم، إذ ما جعل الله لرجلٍ من قلبين في جوفه، وهذا يعني التفرغ لطلب العلم لأنّ العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كل وقتك وتفكيرك.

[3] ألا يتكوّر المتعلّم على المعلّم ولا يتأمر عليه، بل يذعن لنصيحته إذعان المريض للطبيب المشفق الحاذق، وينبغي أن يتواضع لمعلمه ويطلب ثواب الشرف بخدمته، فقد ورد أن زيد بن ثابت τ صلى على جنازة، فقرّبت إليه بغلة ليركبها، فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال زيد: خَلَّ عنه يا ابن عم رسول الله ε ، فقال ابن عباس: أمِرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء. فقَبِلَ زيد ابن ثابت يده، وقال: أمِرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ε (1).

فلا ينبغي لطالب العلم أن يتكوّر على المعلّم، فيجب أن تكون الصلة حسنة بين المعلّم والمتعلّم، والحكمة ضالة المؤمن يغتنمها حيث يظفر بها، ولا يُنال العلم إلاّ بالتواضع والانتباه وإلقاء السمع قال تعالى: **لَذِكْرَى لِهِمْ قُلُوبُكَ أَنْ لَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ** (2).

(1) خالد محمد خالد: رجال حول الرسول ε ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط/ 2، 1973م،

ص 490.

(2) سورة ق، الآية (37).

هذا يعني أن يكون المتعلّم قابلاً للعلم ذو فهم وبصر، ومع ذلك فربما لا تعينه القدرة على الفهم حتى يلقى السمع وهو شهيد، بمعنى أن يكون حاضر القلب يستقبل كل ما أُقي إليه بحسن الإصغاء، والضراعة، والشكر، وانسراح الصدر، قال علي . كرم الله وجهه : "من حق العالم ألا تكثر عليه بالسؤال، ولا تعنته في الجواب، ولا تلح عليه إذا كسل، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض فثولاً يتنّ له سراً ، ولا تغتابن أحداً عنده، ولا تطلبين وائ عثرته ل قبّلت معذرتة، وعليك أن توقره وتعظّمه لله تعالى، ما دام يحفظ أمر الله تعالى".

[4] لا يدع طالب العلم فناً من العلوم محموداً، ولا نوعاً من أنواعها، إلاّ وينظر فيه نظراً يطّلع به على مقصده وغايته ثم إن ساعده العمر، طلب التبجّر فيه وإلاّ اشتغل بالأهم منه واستوفاه، فإن العلوم متعاونة وبعضها يعزّز بعضاً.

[5] لا يخوض المتعلّم في فن من فنون العلم دفعةً واحدة، بل يراعي الترتيب، ويبتدئ بالأهم، فإنّ العمر إذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالباً فالحزم أن يأخذ من كل شيء أحسنه.

[6] أشرف العلوم العلم بالله عز وجل، وملائكته، وكتبه، ورسله، والعلم بالطريق الموصل إلى هذه العوالم وأن ترغب إلاّ فيه، وأن تحرص إلاّ عليه.

[7] أن يكون قصد المتعلّم في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة، وفي المآل القرب من الله سبحانه و تعالى، قال تعالى: ﴿رَبِّعِ اللَّهُ نَكُمْ لِدَلِيلَيْنِ أَمْ أَدُوُّوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (1)، وقلل تعاليت: ﴿هُنَّ اللَّهُ وَاللَّهُ بِصَدِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (2).

هذه هي الصفات التي ينبغي أن يتمسك بها طالب العلم كي ينجح في دراسته وحياته، والحق أن المسلمين قد عرفوا الحياة حق المعرفة، وعنوا بالناحية الروحية عنايتهم بالناحية الجسمية، فأعطوا الروح غذاءه من العلم، والدين، والفضول أعطوا الجسم ما يحتاج إليه من غذاء صحي، ومسدّد كن صحي، وهواء طلق، وحدثوا الطالب على صيانة روحه، وجسمه، وعقله، وقراءة ما يفيد في الحياة وتخيّر الأصحاب من الفضلاء.

وإذا كانت هذه مسؤولية المتعلم في التربية، فإن للمجتمع أيضاً مسؤوليته نحو التربية.

[ز] مسؤولية المجتمع:

على الدولة أن تهيئ الظروف والأسباب التي تمكّن الأفراد من تعليم أنفسهم وأبنائهم وبناتهم بلا تمييز في ضمان هذا الحق، فالكل يعيش في المجتمع ذكراً كان أم أنثى، وبصرف النظر عن اللون أو الأصل أو

(1) سورة المجادلة، الآية (11).

(2) سورة آل عمران، الآية (163).

المستوى الاجتماعي، فالجميع لهم الحق في الاستفادة من تلك الخدمات الأساسية.

ومن واجب الدولة حماية جهاز التربية والتعليم من كل الضغوط، وتحرير العملية التعليمية التربوية من كل القيود سوى قيد الأمانة العلمية والقيود الخُلقية التي تملئها العقيدة والقيم التي تؤمن بها الأمة.

ومن ثَمَّانَّ على الدولة أن تدعم الجهود التي تقوم بها الأسرة، والمدرسة، والمسجد، والمعلمين، والمتعلمين، في المجالات التربوية كافة، منعاً للسموم المنتشرة والتأثيرات الضارة التي تبثها وسائل الإعلام، وذلك لأن التربية غرس لا يأتي ثماره إلا إذا دعمته كل المؤسسات التربوية والوسائل الإعلامية المؤثرة مثل: التلفاز، الإذاعة، الصحف، المجلات، المطبوعات، وأجهزة التسجيل. وذلك لأن المجتمعات العقدية في كل مكان وزمان توجه وسائل إعلامها وتوظفها بصورة تتسجم مع مؤسساتها التربوية الأخرى بطريقة مقصودة، حتى تحقق أهدافها الاستراتيجية، وهو ما يُعرف تربوياً بـ(التربية المقصودة)، وهذا ما نراه في كثير من المجتمعات، وخاصة المجتمع الشيوعي في الاتحاد السوفيتي سابقاً، فقد وجدّه إعلامه وكل مؤسساته التربوية لخلق مجتمع شيوعي، والدولة الشيوعية تراقب هذا

التوجّه وتدعمه في كل مراحلها وعلى طول خطوات الطريق باعتباره استراتيجية دولة⁽¹⁾.

ولما كان المجتمع الإسلامي مجتمعاً عقائدياً، فيه رقابة تتمشى مع طبيعة الإنسان وكرامته، وهي الرقابة الذاتية، وهي رقابة لإعلاء كلمة الله، لا لحماية حزب من الأحزاب أو آراء فرد من الأفراد وإذا كانت الرقابة في المجتمعات الشيوعية يتولى أمرها الحزب الشيوعي والدولة الشيوعية، فإنّ الرقابة في المجتمع الإسلامي يتولى أمرها المؤمنون جميعاً من منطلق ديني، وذلك كما جاء في القرآن الكريم قال تعالى: اللَّهُمَّ إِنَّا نُؤْمِنُ بِكَ وَأَنبِيَاءِكَ وَنُؤْمِنُ بِمَا نَزَّلْنَاكَ مِنَ السَّمَاءِ بِحُكْمٍ وَإِنَّا نَكْفُرُ بِالْمُشْرِكِينَ وَلِلَّهِ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ السَّمَاءُ كِطَابًا لِّمَن يَشَاءُ لِيُخْبِرَ أُمَّةً بِأُمَّةٍ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

مَوْجِبَاءً فِي الْحَمِيثِ لِكُشْمِيفِمَا: (كُرَّ أَلْفِي غَيْرُهُ بِدِفْلِينِ لَمْ يَسْتَطِيعَ فَاِئْتِدِلْسَمِ اِنْدِي سَطِطِعُو فَنَبِقَالْبِهِ اَصْدُ عَفُ الْاِيْمَانِ)⁽³⁾.
كما قال رسول اللّٰه (النَّصِيحَةُ قُلُوبًا: نَقَالَ لَوْلِيَّهَ لَهَّ تَابِيهِ، وَ لَوِ لَوْلِيَّهَ لَمْ سَلْمِيْنَ وَمَعْتَلِمِ)⁽¹⁾.

(1) بشير حاج التوم: مرجع سابق، ص 33-38.

(2) سورة التوبة، الآية (71).

(3) النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف: صحيح مسلم بشرح النووي، مرجع سابق،

فمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقتضي أن يلتزم به الكل، ويظلوا مسؤولين عنه حتى تؤديه السلطة الحاكمة أو يؤديه بعضهم، فالمسلمون في ضوء هذا المبدأ ملزمون بحماية الأخلاق، ونشر الفضيلة، ومحاربة الرذيلة، وحماية المجتمع من الأفكار الفاسدة. ولذلك فإننا لا نتوقع في المجتمع الإسلامي الصحيح أن تأتي وسائل الإعلام بشيء يعارض هذا المبدأ.

ولكن كثيراً من الناس في المجتمعات الإسلامية المعاصرة لجهلهم ولضعف إيمانهم لا يلتزمون بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولذلك نجد في وسائل الإعلام كثيراً مما يعارض مع الإسلام، ونتيجة لذلك فالتربية التي تغرسها الأسرة الصالحة والمدرسة المسؤولة، يفسدها ما تقدمه وسائل الإعلام المختلفة وخاصة التلفاز⁽²⁾، في حين أن من واجب وسائل الإعلام . وخاصة التلفاز الذي يجذب السمع والبصر والفؤاد . أن يعمل على تصفية التراث الإجتماعي الثقافي الذُّلُقي، وتنقيته وغربلته من

(1) النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف: صحيح مسلم بشرح النووي، مرجع سابق،

كتاب الإيمان، حديث رقم 181، رواه مسلم، ص 76.

(2) الصاوي، فاروق الغاني: فقه الدعوة الإسلامية والإعلام عند المودودي، دار المنار الحديث،

الشوائب مثل العقائد المنحرفة والعادات البالية⁽¹⁾. حتى يصفو الجو للعوامل الحية الكامنة في تربيتنا الاجتماعية الإسلامية، فنحن لسنا في حاجة إلى وضع منهج جديد في تربيتنا الاجتماعية، بقدر ما نحتاج إلى ترجمة ما عندنا من منهج إلى عالم الواقع فيمكن لوسائل إعلامنا أن تُقرّب الإسلام إلينا وتجعله متحركاً في عقولنا وسلوكنا الفردي والجماعي. ووسائل الإعلام في مقدورها أن تقوم بهذا الدور الحيوي الهام فتَهَيئ الأجرء عن طريق البرامج الثقافية والتربوية ننتسم منها: النظام، والنظافة، وتقدير شعور الآخرين، والإخلاص في العقيدة والعمل، والتعاون على البر والتقوى، وفعل الخيرات، والإخاء الصادق، وصلة الرحم، وبرّ الوالدين، وجميع مظاهر التربية الإسلامية في شتى مجالات الحياة ومناشطها، تلك هي مسؤولية المجتمع التربوية.

فعلى أفراد المجتمع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى الدولة دعم الأسرة، والمدرسة، والمسجد، في مجاهداتهم لتربية الناشئين تربية إسلامية صحيحة وذلك بأن تهَيئ الدولة الظروف المناسبة لضمان بناء الشخصية المسلمة القوية ولا يأتي ذلك إلا إذا وجّهت الدولة وسائل الإعلام بها الوجهة الصحيحة.

(1) العبد، عاطف عدلي: الاتصال بالرأي العام الأسس النظرية والإسهامات العربية، 1989م،

المسؤولية التربوية في الإسلام

د. عبد القادر قسم
السيد الدّابي

والله ولي التوفيق



مراجع البحث

- [1] التوم، بشير حاج: التربية والمجتمع، مكة المكرمة، المركز العالمي للتعليم الإسلامي، 1403 هـ . 1983م.
- [2] النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف: رياض الصالحين، دار الجبل، بيروت.
- [3] الأبراشي، محمد عطية: التربية الإسلامية وفلسفتها، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ط/2، 1389 هـ . 1969م.
- [4] النعمة، إبراهيم: فردية التبعة والجزاء في الفكر الإسلامي، مجلة التربية الإسلامية ، تُصدرها جمعية التربية الإسلامية في العراق، العدد الخامس، السنة الخامسة والعشرون، جمادى الأولى، 1404 هـ . 1984م.
- [5] النحلوي، عبد الرحمن: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، دار الفكر، دمشق، ط/1، 1979م.
- [6] العموشي، أحمد سمير المحمد: رسالة دكتوراه غير منشورة في التربية، جامعة إفريقيا العالمية، كلية التربية، عام 2002 . 2003م.

- [7] ابن جماعة، بدر الدين: مسند الأجناد في آلات الجهاد، تحقيق أسامة النخشمندى، بدون ذكر لمكان الطبع، ولا سنة الطبع، ولا رقمها.
- [8] عبد العال، حسن: التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون ذكر لسنة الطبع.
- [9] العدوي، إبراهيم أحمد: التعليم الإسلامي في الماضي وميراثه الحاضر، المركز العالمي للتعليم الإسلامي، مكة المكرمة، 1403 هـ . 1983م.
- [10] الغزالي، محمد بن محمد: إحياء علوم الدين، بدون ذكر لسنة الطبع.
- [11] ابن تيمية: مجموع الفتاوى، علم السلوك، جمع وترتيب عبد الرحمن النجدي، السعودية، الرياض، ط/1، 1381 هـ.
- [12] الكيلاني، ماجد عرسان: تطوّر مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، ط/2، 1405 هـ . 1985م.
- [13] الصاوي، فاروق الغاني: فقه الدعوة الإسلامية والإعلام عند المودودي، دار المنار الحديث، 1413 هـ . 1992م.
- [14] العبد، عاطف عربي: الاتصال بالرأي الأسس النظرية والإسهامات العربية، بدون ذكر لمكان الطبع، سنة 1989م.